يصيح بها المسلمون امام الجنازة متبدعة وانها سرت اليهم من الملل الاخرى واظن ان أكثر الناس لا يزالون يعرفون هذا فانا نسمعهم يقولون في الجنازة التي لا اصوات معها : انها على السنة : وان لكل حالة عبادة تناسبها ولا أفضل لمشيع الجنازة من التفكر في الموت وما بعد الموت

القسم السوي

نظام الحب والبغض

تابع حب القوة

(رابطة المدنية)

ويظهر ان أول مال تموله الانسان هو ما أسره من الحيوانات الكثيرة التي سهل عليه أسرها وتأنيسها . أي جعلها أنيسة غير نافرة ولا عادية . وبهذه الحيوانات التي طفقت تتناسل وتتزايد في ظل حمايته ورعايته وعنايته قد استغنى أولئك الاوائل بعض الاستغناء عن الكد في الصيد . فان الفاطر أوحى اليهم ان يجربوا ألبان الحيوانات المأسورة فرأوا ان ألبان البعض منها غذاء طيب ساد عن كل شيء . ووجدوا بعد هذا ان اللحوم أمر زايد يجنحون اليها اذا ما وجدوا في أنفسهم سآمة من تناول الالبان . ولا يبعد انهم قبل ان يتمولوا هذا المال كانوا يجتزأون بالعشب والحبوب يوم لا يجدون مصيداً . ولذلك بقوا يحنون الى بعض الاعشاب التي استطابوها بعد ان وجدوا لهذا الغذاء الكافي . وربما كان تخصيص بعض الحبوب والنباتات بالاكل تطبباً بوحي الهام ثم اعتادوها دائما حتى صاروا يدخرونها ولذلك يجوز لنا ان نظن ان نبات الذرة الذي تموله النوع هو ما اعتاد أكله الانسان مما تخرج الارض من نباتها وحبها فكأن طفق فريق منهم يجمعونها ويدخرونها ثم وجدوا حرجاً في جمعها حبة حبة فكلا من كل بقعة فرأوا ان يبذروها في بقاع خاصة فحدثت لهم صناعة الحرث والزرع ولا تنسوا تلك المدى الصوانية فهي التي نجرت لهم المحراث الذي يحنون به في الارض ليدفنوا به الحبوب وهي التي نجرت المدق لاستخراج الحبوب .

ولما كان الزروع يستدعي الحفظ من الحيوانات طواعم الاعشاب وادخار الحبوب ليوم البذار ليستدعي أماكن يؤمن فيها من البلل الضار بها احتاج الذين عنوا بهذا

المال الثاني الى الاقامة بجوار الارضين التي ينذرون فيها واحتاجوا الى اتخاذ بدل عن تلك الاخبية التي لاتقي الحبوب الكثيرة من البلل فرأوا ان يقلدوا الفيران ويتخذوا لهم ولحبوبهم أماكن تخينة يؤلفونها من الحجر والتراب ، أو من الاعواد والتراب . وليس ببعيد ان يكونوا تعلموا صنعة البناء من الحيوانات الصغيرة التي تدخر الحبوب كالنمل مثلا كما تعلموا صنعة النسج من الحيوانات التي تنسج كالعنكبوت مثلا ولكن الاقرب ان يكونوا تعلموا كل أوائل الاشياء بالهام من الفاطر كما ان الحيوانات كلها تعلمت ماتحتاج اليه بحسب خلقتها بالهام منه (جل وعلا) .

ثم عجز هؤلاء الزراع عن ان يحولوا الكثير من الحيوانات المأسورة لان العناية بها تقتضي الرحيل الدائم لاجل تتبع الارضين التي فيها الكثير من العشب الطبيعي وعجز أولئك الرعاة عن ان يحولوا الكثير من تلك الحبوب التي تقتضي الاقامة والاشغال بالحرث وتوابعه فانقسم الذين كانوا مجتمعين الى فريقين فريق المتحولين من الحيوانات وفريق المتحولين من الحبوب . واختار كل من الفريقين ماماثل اليه نفسه من المال ودأب يسعى في تنميته والاثراء منه وبحسب هذا الانقسام انقسم الوطن الى قسمين وطن الرحل ووطن المقيمين . وأصبح كل من الرحل والمقيمين محتاجين في الحقوق والمعاملات التي بينهم أنفسهم الى ناموس . ومحتاجين الى ناموس آخر في الحقوق والمعاملات التي بينهم وبين الآخرين . ويمكننا ان نسمي الاول بالسياسة الداخلية ، والثاني بالسياسة الخارجية .

وههنا حان لنا ان نأتي القراء بالاشارة الى أقسام النظامات التي تندرج تحت تينكم السياستين لتعلموا ان الشرائع كتربية الاخلاق قديمة جداً ينتهي قدمها الى أوائل المجتمعين من البشر وذلك لايعلمه الا الذي خلق . وبذلك تعلمون قدم عهد المدنيات التي بسطنا هذا الكلام لتشريح شيء من بنيتها التي عظمت جدا . والخالق اعلم بما سيكون

فمن تلكم الاقسام نظام المبادلات والمعادلات وبدون هذا النظام لايتم اجتماع صالح للنمو والامن والتميز على الحيوانات وفيه أقسام (١) شريعة البيوع . وهو اللازم العاشر و (٢) شريعة الاجارات وهو اللازم الحادي عشر . و(٣) شريعة القسمة : وهو اللازم الثاني عشر و(٤) شريعة القروض والودائع والعواري وهو اللازم الثالث

عشر و(٥) شريعة الغصب والاتلاف. وهو اللازم الرابع عشر

ومنها نظام المواريث وهو اللازم الخامس عشر . وهذا أيضا من الضروري لانه اذا مات الواحد لابد من ان يأخذ ماله الاحياء. فمن هو الاحق بأخذه .

ومنها نظام الجزاء وهو اللازم السادس عشر فبدون الجزاء يتمادى المعتدي ويفقد الامن

ومنها نظام حماية الضعفاء وهو اللازم السابع عشر . فبدون تلك الحماية يؤول الامر الى عدم تكاثر القليلين وهم الى ذلك محتاجون

ومنها نظام المعاهدات الخارجية . وهو اللازم الثامن عشر فبدونه لا يتسنى لسكان الارض من البشر ان يستريحوا طرفة عين . ولولاه لما نما البشر ولما أخذ النوع حظه من التميزات والارتقاء البديع .

ومنها نظام احداث القوة . وهو اللازم التاسع عشر .

وفي هذا أقسام (١) ركز القوة في مركز أي اقامة الرئيس ونصبه (٢) طاعة المرؤوسين للرئيس (٣) تسليم القوة للرئيس (٤) شروط الرئيس والرآسة والطاعة واستلام القوة والتصرف بالقوة وحدود كل من المذكورات ومقاديرها .

ومنها نظام وضع النظامات. وهو اللازم العشرون وما أخرناه في الذكر الا لانه يتأخر حدوثه في المجتمعين لانهم يضعون النظامات أولاً من غير نظام فيظهر فيها خلل ما قليل أو كثير فيحتاجون لنظام النظامات، قانون القوانين، ناموس النواميس، شريعة الشرائع ؛

هذه الشرائع والنظامات ، أو هذه اللوازم والمقتضيات، هي جل أو كل الاصول التي يخوض في جداول فروعها علماء الاخلاق وعلماء الشرائع . وان كنت قد نسيت شيئا فليس بعسير على من قرأ هذا النموذج ان يحصي ما نسيت مع ما ذكرت .

وكل ما أحصيناه يحتاج اليه الفريق الرحل كالفريق المقيمين غير ان الرحل الرحلة بما جبروا على ذلك المثال الواحد وبما رضوا من الحياة البسيطة التي لا زينة فيها يقوافي أمر هذه الشرائع على سذاجة الفطرة او ما هو قريب منها . واما المقيمون فانهم مازالوا يتقلبون في الحاجات التي يسوقهم اليها حب الزينة (الذي يألف المقيمين ويتيح لديهم) حتى توسعوا في الحياة فاحتاجوا ان يتوسعوا في امر الشرائع . ويظهر ان هؤلاء المقيمين بعد ان اختاروا الاقامة لأجل زرع الحبوب وحفظها وما هو من بابها بدأوا يطلعون

بواسطة البحث في الارض للبذر فيها على مافي خزائن الارض مما نسميه «المعدن» وهو المال الثالث . ثم أخذوا يصطنعون من المعدن وبواسطة المعدن مصنوعات كثيرة زائدة وهي المال الرابع .

وقد جال الظن في معرفة أول معدن اطلع عليه البشر وعرفوا خاصته . ولكن يمكننا ان نظن ان الانسان بقي في ابسط الحالات حتى اكتشف سر النار وانه لم يفقه شيء من المعادن مثل ما فقه الحديد . لان الحديد ابو الآلات كلها ففي اليوم الذي عرف الانسان خاصة الحديد ، دخل في دور جديد . وذلك لان اجتماع مئة انسان مثلا في أرض واحدة وتجاورهم في المساكن يقتضي عليهم ان لا يكونوا متحدين في الصنعة لوجوه كثيرة منها ان قواهم البدنية تختلف فمنهم من يستطيع الحرث ومنهم من لا يستطيع . افيترك من لا يستطيع الحرث سدى ام يعمل شيئا آخر وماذا يعمل؟

ومنها ان قواهم العقلية تختلف فمنهم من يجد ذهنه قابلا غير الحرث فهل يجبر على الحرث ام يعمل كما وجد ذهنه . وماهو ؟

ومنها ان قواهم القلبية تختلف فمنهم من يقنع بحالة واحدة ولا يغرم بالزينة ومنهم من لا يقنع ويكلف بها . افيموت فقيراً لانه لم يجد ما يقنعه ام يتفكر بايجاد ما يقنعه وماهو؟

ومنها ان المال الواحد اذا عمل الكل على تنميته نما جدا حتى يتعسر حفظه أو يصير العمل بتنميته على الدوام مع كثرته الهائلة عبثاً فهل يشتغلون بالعبث ام يتفكرون بمال آخر هم وما هو ؟

هذه الوجوه المبينات هي الحاكمة على مئة مجتمعين معاً ان يتفكروا فيجدوا باذهانهم ماهي تلك الاشياء المسؤل عنها من الاعمال والصنائع اللازمة . وبعد ان يجدوا باذهانهم يعمل كل واحد منهم في العمل الذي استعد له بحسب بدنه ، بحسب عقله ، بحسب قلبه . واذا كان عشرة من المئة يكفونهم جميعهم انفسهم في تحصيل الحبوب اللازمة مع الزيادة فماذا يصنع التسعون ثم اذا وسعنا هذا المقياس نرى ان الف الف من البشر يكفيهم في الحرث مئة الف مثلا فماذا يصنع (٩٠٠٠٠٠) ؟

ليس شيء اسهل من ان يقول السامع : يشتغل هذا العدد بصناعات متعددة . نعم ولكن بم يصنعون ؟ أبأيديهم اللحمية أم بآلاتهم الاولى الخشبية ، أم بعداهم الاولى الصوانية؟

لا يسهل الجواب عن هذا الا من بعد معرفة خاصة الحديد والاستفادة منه ، فانه في ذلك اليوم الذي عرف فيه الحديد تعددت المصانع ، فاتسعت المزارع ، فتوفرت المتاجر ، فتعظمت الشرائع ،

وانا لنعلم انه ليس لأحد غير الخالق علم بكل ما تقلب فيه الانسان من الاطوار لا سيما التي في بدء امره . ولكن جرأنا على هذه الظنون اعتقادنا ان هذا النوع لم تخلق له كل العلوم والصنائع التي نراها اليوم مثلا يوم خلق . وحملنا عليها اعتقادنا ان الاجتماعات العظيمة في النوع انما كانت على التدرج . واعتقادنا ان لكل اجتماع خواص تقتضي ظهور أمور جديدة فتتبعها تلك المقتضيات وتظهر بسرعة او بطء على قدر الاقتضاء

على اننا اذا لم نجل الخاطر فيما جرى للاولين ، لا يكمل تفقهنا في أحوال الحاضرين ، ولا نكون قد أخذنا لانفسنا حظا من لذة النظر في مرآتي الكون الانساني التي تتجلى فيها الصور على انحاء شتى بعضها في نظرنا أجمل من بعض ؛ ولا حظا من فائدة التفكر لوجدان اسباب معقولة لمسببات محسوسة ؛ ووجدان حلق مجهولة ، تتصل بها الحلق المعلومة

نحن اليوم في قرى ومدن وبين أيدينا مالا يحصى من مزارع ومصانع ومعادن وحيوانات ؛ ونحن اليوم جماعات كثيرة بعضنا لبعض عدو ، وبعضنا لبعض ظهير ، افخلقنا هكذا ؟ أم أوصلنا الى هذا الحاضر ماض طويل ؟ اجيدّ لنا هذا الحاضر ؟ او جد اجود منه ؟ هل الاجود في الماضي ؟ هل الاجود في الحاضر ؟ ان كان في الماضي فما حاه ؟ ان كان في الآتي فكيف يأتي ومتى ؟

يا اخوان القراءة الا تخطر في بالكم هذه الاسئلة ؟ الا تهيء شؤون هذه الحياة الاجتماعية الملفقة من لبنات متعددة الالوان

وكيف يمكننا الجواب عنها اذا لم نجل الخاطر يمنة وشمالا في التقلبات الماضية ؟

من أجل ذلك تكلمنا في « رابطة القومية » على نبذة من ماضي الانسان في تناسله وتقاربه وتباعده حتى بينا ان تلك الرابطة نافعة غير ان نفعها ابتر . وانه قد ينقلب نفعها ضررا اذا قاومت بأحكامها ما هو أنفع منها . ثم تكلمنا في « رابطة الدين » على نبذة من ماضي الانسان في احتياجاته للمصطفين الأخيار الذين يوحى اليهم ان يعلموا البشر

اعظم اركان الحكمة وأصل الاصول في مصلحة النفس في انفرادها واجتماعها وبينا فوائدها في شؤون نظام الاجتماع من حيث هو . وبالجملة قد بينا في الاثنتين الاسباب التي تدعو اليهما والنافع التي تنتج منهما . وبديهي لمن قرأ انهما كليتهما لم تنتج عنهما وحدهما هذه البزة الحاضرة للبنية الاجتماعية أقلا يقال ما أحدثها ؟

ان أقل ما أحدثها «حب الزينة» و«حب التميز» فما كان الصواب ليعدوني في هذه القولة — وقد قلتها من قبل في مناسبة اخرى — ولكن هل يكفي حب التي في تحصيله من غير آلات ؟ ان ذلك لم يكن قط . فالآلات التي تحصل للنوع (افراداً ومجموعاً) مابه الزينة — على حسب اعتبار كل — ومابه التميز (على حسب تصور كل) هي اعضاء هذه البنية . وحب الزينة وحب التميز روح حركتها . والنظام الناموس، القانون ، الشريعة ، المنهاج ، روح تعظمها وتكملها وانبساطها .

ونسمي المجموع «رابطة المدنية» او «رابطة الوطنية» و«رابطة الاجتماع» او «رابطة الحكومات» وقد اخترنا الأول واقتصرنا عليه . لانه اظهر دلالة بحسب اللغة والاصطلاح والحقيقة . ولكلام في هذه الرابطة التي تحدث قوة كبرى للأمم المجتمعة . نحرر هذه النبذة وقد منا بين يديها هذا التمهيد عسى ان يكون موقظا للتفكر فانما يسطع العلم في الافكار المتهيئة .

(لها بقية) ع . ز

آثار علمية

(تقريظ المنار ورسالة التوحيد * لاحد علماء الشيعة الامامية)

بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على خير خلقه وسيد أنبيائه ورسله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين *

لم أكن منذ تصديت لاكتساب المعارف والنظر في علوم الدين ، أرغب في الاطلاع على جريدة ، أو صرف مدة في امعان النظر في مجلة ، لما انغرس في فكري من قلة الفائدة بذلك وتضييع الوقت ، حتى ملأت مسمعي ضوضاء المجلات وتعرضها للدين ، كل على حسب اغراضه ودواعيه ، فتاقت نفسي لمطالعة بعضها وتفريغ وقت